العلاقة بين الانتاج النمطي وتطور الاقتصاد المكي في عصر الرسول

نورة كريم زغير

أ.د.عمار محمد يونس

الخلاصة

يتضح من خلال البحث ان العلاقة بين الانتاج النمطي وتطور الاقتصاد المكي علاقة وطيدة، وان الانتاج النمطي الذي كان يسيطر على الاقتصاد في مكة قبل الاسلام يختلف تماما عن ماهو عليه عند ظهور الاسلام الذي تمكن من تغيير موازين الاقتصاد وكسر الصورة النمطية وتغييرها جذريا والسيطرة على العادات الجاهلية التي كانت تضرب بالاقتصاد لتفتك في طبقات المجتمع المكي الضعيفة ، فالانتاج يتطلب توفر عوامل اقتصادية مهمة من المواد الاولية الى الايدي العاملة ،والتي كان يفتقر لها الاقتصاد قبل الاسلام بحكم ان مكة بلد غير زراعي وكانت التجارة بالدرجة الاساس هي المتحكم ومن ثم يليها الربا ،فقد كان لهما الدور الرئيسي في ادارة اقتصاد مكة وكسب المال دون النظر الى الفئات التي ستتضرر على اثرهذا التحكم الاقتصاد المجحف بحق الطبقات الفقيرة في المجتمع وسوء المعاملة بحق العبيد وانعدام حقوقهم،الامر الذي لم يستمر طويلا ،فقد اعاد الاسلام بناء الفرد وفق القانون الالهي الذي يفرض وضع معايير اخلاقية اجتماعية اقتصادية تعيد توازن الامور.

abstract

It is clear through the research that the relationship between standard production and the development of the Meccan economy is a close relationship, and that the standard production that dominated the economy in Makkah before Islam is completely different from what it was when the advent of Islam, which managed to change the balance of the economy and overcome its rules and even change them radically and control the pre-Islamic habits Which was hitting the economy to destroy the weak classes of Meccan societyProduction requires the availability of important economic factors, from raw materials to manpower, which the economy lacked before Islam, by virtue of the fact that Mecca is a non-agricultural country, and trade was primarily the dominant one, and then usury followed. Looking at the groups that will be affected by the effect of this unfair economic control against the poor classes of society and the mistreatment of slaves and the lack of their rights, which did not last long, Islam has rebuilt the individual according to the divine law that imposes the development of social and economic moral standards that restore balance.

اولا:-عوامل الانتاج الاقتصادي

عندما جاء الاسلام وبدء يتغلغل في ارجاء مكة من خلال بعثة الرسول الكريم محمد صلى الله علية واله وسلم، كانت مكة تحت معايير محدودة من جميع النواحي ،فهي لاتمتلك التمويل الذاتي من الناحية الزراعية لانها في وادي غير ذي زرع ،غير اانها تعد مركزا تجاريا مهما تحتل فيه قريش مركز الصدارة ،كماان موارها المالية كانت تجمع بشكل عشوائي[١]، وهذا يعود للمجتمع القبلي الذي ينقسم الى الاسياد والعبيد ووجود الفوارق الطبقية المقيتة ، لمجتمع يسوده الفقر والصعاليك ، كما كان المجتمع المكي يظلله الشرك بالله ويسود فيه الظلم كالوأد وغيرها.

هذا هو الواقع الذي كان يعيشه الفرد المكي قبل ظهور الاسلام ، حيث وجود بيئة غير مناسبة ولا مهيأة يسودها الظلام ، لكن الرسول الكريم جاء بنهضة حقيقية غيرت مسار المجتمع في جميع الجوانب وخصوصا الاقتصادية،حيث طرح منهج اقتصادي اسلامي وفق نظرية اقتصادية متكاملة تصلح المجتمع بأمر الهي وبقيادة نبوية ثائرة في شوؤن البلاد واضعة اسس ركيزة لتنظيمات اقتصادية قائمة على مدى التاريخ .

ثانيا:-بناءالفرد

ان القيمة الكبرى الحقيقية للانسان في ميزان الله هي عقيدة التوحيد والسلعة الرائجة في سوق الله اسلام الوجه له ومن خلال تلك العقيدة والايمان الرسخ بها تبثق جميع التشريعات ويكون الله هو مصدر السلطات وما امر به من طاعة رسوله الكريم والايمان برسالته التي تحمل قواعد الحكم الالهي الحق ومن ثم يبدا دور العقل البشري الذي خلقه الله لتمييز الحق واتباعه وردع الباطل واجتنابه واتباع مانصه عليه القانون الرباني ضمن حدود الاسلام .[٢]

عندما جاءت الرسالة المحمدية كان المجتمع عربا وعجما يعيشون حياه تسودها الجاهلية ،وعندما بدءت دعوة الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم كان اول جهاد يواجهه هو بناء الفرد من خلال ترسيخ عقيدة التوحيد لتتمكن تلك العقيدة من الافكار والقلوب لتتحرك الاعضاء بالعمل وفق ماجاء به ذلك الدين من قواعد وقوانين الهية تقوم المسيرة البشرية،ليسير بعد ذلك واضعا التشريعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها لبناء دولته، فكانت معركته الاولى هو الانتصار على الشرك واعادة بناء الفرد ووضع اسس قوية راسخة له .[٣]

وعند التامل في السنن الالهية يلاحظ التدرج في التشريع ،فالله سبحانه وتعالى لم يبعث رسله ولا انبياءه ومعهم نظام متكامل اقتصادي او نظام سياسي او نظام اجتماعي او غيرها منذ الوهلة الاولى ويأمره بتبطيق هذا النظام ووضعه امام قومه لتنفيذه،ومن يطلع على تاريخ بني اسرائيل يلاحظ ان الاحكام القانونية التي انبثقت من التوراة لم تنزل على بني اسرائيل اثناء تواجدهم في مصر، ولكن بعد ان اصبحوا احرار ذو ارادة قوية وبعد الخروج من مصر ارسل اليهم الله القوانين والاحكام وهذا الذي حدث في الاسلام ، فاول الامر نزل الامر بعبادة الله وحده ومن ثم نزلت باقي الاحكام الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .[٤]

ثالثا:-اساسيات الاقتصاد المكي

كانت المهمة الاولى للرسول وهو حامل الرسالة الالهية هو تنوير القلب والعقل البشري وربطه بالخالق ووضع الركيزة الاساسية له و التي ينطلق من خلالها متمثلة بالايات القرانية التي تحثه على التفكير في مصادر رزقه ،وحث سور كثيرة من القران الكريم على ذلك منها ،قال تعالى "ذلكم الله ربكم لا اله الاهو خالق كل شيء فاعبدوه"[٥]

الوظيفة الاولى والاساسية لاي نظام اقتصادي بغض النظر عن طبيعته هي الانتاج (اي انتاج السلع لمواجهة الاحتياج البشري)بعد توفير المواد الاولية الموجودة في الطبيعة ،[٦]وان عملية الانتاج لايمكن اتمامها الابوجود العمل البشري المتمثل بالجهد سواء كان عضليا او ذهنيا وتوفر العوامل الطبيعية ووجود رأس المال [٧]

فالعمل البشري يتمثل بوجود الفرد الذي يتبع القواعد الاساسية التي قام على اساسها الاسلام وفق منهج شامل للحياة ركز بشكل دقيق بالجانب الاقتصادية وخصوصا في كل من العمل والمال ،ووضع قواعد ركيزة في جميع تفاصيله وتنظيماته سواء من ناحية الاكتساب او الاستثمار ليكون وسيلة اسعاد لا افساد ،كما انه جعل اساسيات العمل وقواعده ثابته توجه الانسان نحو العمل الصالح والسداد وتصونه من الانحراف ليتحد الفرد مع المال ويكون الدعامتين القويتين لنهوض الامة ورخاءها و ازدهاره حضارتها [٨].

يعتبر الانسان المحرك الاول والاساسي لتلك العوامل فيقع على عاتقه بذل الجهد ومعالجة الارض لتصبح خصبة وتهيئتها لغرس البذور كما يكون له دور في اكتشاف بعض المواد وقوانينها وكيفيه تسخيرها لخدمته كاستخراج صنعة جديدة تضاف الى اكتشافاته على مدى التاريخ ،وحفزت الايات القرانية التي نزلت بالتتابع على التفكير والتامل ول اثبات وجوده بالشكل الصحيح، و كثيرة الايات التي دعت الى التامل والتفكر منها " خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين " [٩]،والعمل قوله تعالى " فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ}[١٠] حيث حث الله تعالى في هذه الاية نبيه ن وح عليه السلام على العمل والاجتهاد فيه فقام بصنع السفينة ، وقوله تعالى " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ }[١١].حث سبحانه وتعالى في هذه السورة نبيه داود عليه السلام على العمل وقد امتهن النبي داود عليه السلام الحدادة.

وتشمل العوامل الطبيعية الارض وماسخره الله فيها من انهار ومحيطات تحمل الفلك وما يستخرج منها وماعليها من تلال وجبال وكل شيء فيه منافع للناس ،وبغض النظر عن طبيعة الارض سواء كانت صالحة لزراعة خصبة او صحراوية فكلها من خلق الله وصنعه ،[١٢] فخلقها من اجل الانسان وسخرها له وفرض عليها استغلالها لممارسة حياته ،قال تعالى ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) }))[١٣]

رابعا:-العلاقة بين الفرد وبين الخالق في عملية الانتاج

ان خليفة الخالق في الارض هو الانسان ولقد فضل الله هذا الخليفة على جميع المخلوقات وسخر له جميع ماخلقة وترك له العمل والاجتهاد سواء كان جسديا او فكريا لمعالجة الموارد المتوفرة للانتاج فمثلا احد الموارد الطبيعة هي الارض وقد سخرها الله للانسان لاستثمارها في الزراعة من اجل الانتاج،لكن هذه الارض تحتاج مجموعة من العمليات التي يبذلها الانسان من خلال سعيه وجهده في سبيل تهيئتها للانتاج ، من حرثها وغرس البذور فيها وسقيها وحمايتها وتسميدها وغيرها،يقول الله تعالى "((وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)))[١٤]، وبما أن زراعة الأرض كانت من أهم الموارد في العصر النبوي -أو على الأقل في بداية العصر النبوي- فقد كان النبي صلى الله عليه واله وسلم حريصاً على استغلالها جيداً حتى يكثر الإنتاج ليسد حاجة الناس،فتذكر احد الروايات "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآهُمْ يُؤَبِّرُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: " مَا هَذَا؟ لَوْ تَرَكُوهُ ". فَتَرَكُوهُ ، وَلَمْ تَحْمِلِ النَّخْلُ، فَقَالُوا لَهُ ، فَقَالَ: " عَلَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ - أَوْ قَالَ: - بِمَا يَنْفَعُكُمْ "[١٥]

فقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم بستان نخل للأنصار، فوجدهم يؤبرونه، فقال:"ماذا لو تركوه؟ " فترك القوم تأبير النخل فلم تحمل ذلك العام، فراجعوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "عليكم بما كنتم تصنعون، فإنما قلت لكم ولا أعلم" [١٦].

وقد استفاد النبي صلى الله عليه واله سلم من هذه التجربة فجعل إصلاح الأرض إلى أهلها، وبهذا يعلم أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذ بها، ولا يحول دون الاستفادة من تجارب الغير شيء أبداً، ولذلك لما فتح الرسول صلى الله عليه واله سلم خيبر أقرهم على إصلاح الأرض وزراعتها على أن يكون ثمرها بينه وبين أهلها بالتساوي [١٧].

خامسا:- موقف الفرد المكي اتجاه هذه العلاقة

توجه الاسلام برسالته نحو تصحيح العلاقة بين الرب وعبده واعادة تنظيم المسار الانساني حتى يدرك سبب وجوده واهميته وألية عمله ،قال تعالى "اني جاعل في الارض خليفة "[١٨] ان الله سبحانه وتعالى عندما انزل هذه الاية القرانية ليخبر الاملائكة عن خليفة الله والذي يكون من نفس جوهره ،لتخبره الاملائكة بقولهم"اتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء"[١٩] فيقول الله لهم "اني اعلم ما لاتعلمون"[٢٠]،فلقران الكريم يذكر بصراحة خليفة الله الذي سيعمر الارض من ذريته، تحتاج الخلافة الى ارضية خصبة من اجل غرس مفاهيمها ووضع ضوابطها ولم تكن مكة مهيئة لذلك ،فكان لابد للرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم من القيام بثورة للمعتقدات الفكرية الراسخة وتطهيرها ومن ثم زرع اصل الاصول وهو التوحيد في الفكر البشري والذي تدخل من خلاله الخلافة لتسيطر على ادارة شوؤن الحياة المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وتوضح النصوص التاريخية الصراع بين القطبين الجاهلية باحكامها الظالمة والاسلام وقواعده العادلة المنصفة ،فتذكر احدى الروايات[٢١] مواجهة زعماء قريش وردهم لما جاء به الرسول الكريم من قانون الهي " أن ناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى أبي طالب فنكلمه فيه فلينصفنا منه فيأمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه الذي يعبد فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه قال فبعثوا رجلا منهم يدعى المطلب فاستأذن على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه

قال فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم قال يا بن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم وقد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك قال أي عم أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها قال وإلام تدعوهم قال أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم قال فقال أبو جهل من بين القوم ما هي وأبيك لنعطينكها وعشرا أمثالها قال تقول لا إله إلا الله قال فنفروا [وتفرقوا] وقالوا سلنا غير هذه فقال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها قال فغضبوا وقاموا من عنده غضابى وقالوا والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد إلى قوله إلا اختلاق وأقبل على عمه فقال له عمه يا بن أخي ما شططت عليهم فأقبل عى عمه دعاه فقال قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة تقول لا إله إلا الله فقال لولا أن تعيبكم بها العرب يقولون جزع من الموت لا لأعطيتكها ولكن على ملة الأشياخ"[٢٢] قال فنزلت هذه الآية((إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين (٥٦) وقالواان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لايعلمون))[٢٣]

ان هذا التحول الكبير الذي سيطرأ على المعتقدات الراسخة في عقول المكيين ومايتبعها من اسقاط السلطات الزائفة وازاحة القوة المركزية المتحكمة وارجاع الفرد الى فطرة الله التي فطر الناس عليها والذي يخالف اهواء كبار واسياد مكة ،لان كبار قريش واسيادهم لهم السيادة في التجارة وفي راس المال وعلى بيت الله الحرام وفق ماتخدم مصالحهم الشخصية واهواءهم ،هذا التحول الكبير الى التوحيد الذي يهز عروش استبدادهم واحكامهم ويرجع الانسان الى فطرة الله التي خلقه عليها وبهذا يكون قد وضع الاساس لدولة الحكم الالهي الحق.

وتتحقق المساواة بين البشرية بعد انتشار التوحيد والعبودية لله وحده ربهم واحد وكلهم لادم وادم من تراب لا فضل لاحد على الاخرى الا بالتقوى والعمل الصالح ،وبهذا تسقط الاحكام الظالمة التي جاءت بها الجاهلية من سيطرت ذوي المال والجاه والجبروت والطغيان على الذات البشرية ،فلا يكون امامهم سوى الالتزام بماجاء به دين التوحيد من قيم وقواعد تتطلب ان تنفق في سبيل الله ابتغاء رضاه وهذا مطلب يحقق المساواة والعدالة بين البشرية وفق ضوابط الهية ،قال تعالى ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ 37 فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ 38 وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ 39))[٢٤]

ويتضح ان هناك علاقة تربط بين الطبيعة البشرية وبين حبه للمال ، فالانسان خلق من طين ونفخ فيه الروح ومن ثم اصبح نطفة تنتقل للارحام ويولد الانسان،وهذا الطين بطبيعته مادة تحب الاشياء المادية متمثلة بالمال وحب الحياة الا من عصمهم الله،ويذكر الله تعالى هذا في كتابه العزيز"كلا بل لاتكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما"[٢٥]

وتشير الكثير من الايات القرانية الى بخل الانسان وحبه للاخذ وبخله بالبذل وكرهه للعطاء ،[٢٦] فهذه الايات والكثير منها يوضح الصورة الحقيقية لطبيعة الانسان وهي الحرص على المادة وطغيان القلب فيها ،ولهذا في بداية الدعوة الاسلامية جوبهت بالرفض والتصدي خصوصا من قبل الطبقة المترفة ذوي المال والجاه وبل تعدى الامر الى انفاق اموالهم في سبيل مواجهة الدعوة والقضاء عليها ،وكان انفاق اموالهم في سبيل صد الدعوة احد الاساليب التي اتبعوها من اجل ان يعرض الرسول عن ماجاء به ،فارسلوا الوفود لتقديم العروض المالية المغرية له ،فارسلوا له عتبة بن ربيعة" فَقَالَ عُتْبَةُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمُهُ وَأَعْرِضُ عَلَيْهِ أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها وَيَكُفُّ عَنَّا وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ." [٢٧]" فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعُ" قَالَ يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كُنْت إنّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْت بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا، جَمَعْنَا لَك مِنْ أَمْوَالِنَا، حَتّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوّدْنَاك عَلَيْنَا، حَتّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَك، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلّكْنَاك عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذِي يَأْتِيك رَئِيّا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدّهُ عَنْ نَفْسِك، طَلَبْنَا لَك الطّبّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتّى نُبْرِئَك مِنْهُ فَإِنّهُ رُبّمَا غَلَبَ التّابِعُ عَلَى الرّجُلِ حَتّى يُدَاوَى مِنْهُ..."[٢٨]وما كان من الرسول الا ان يرد عليهم ردا فيه الثبات واليقين لدعوته ومبادئها

"ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ماجئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوا عليّ اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم "[٢٩].

والمتفكر بين النصين يلاحظ حوار سادة قريش من ناحية والرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم من ناحية اخرى له ابعاد مختلفة،ومنها ان المال لم يكن العقبة الوحيدة التي وقفت بين سادة قريش والنبي المختار ،فقد كانت قريش بكبارها واشرافها على االهبة الاستعداد من اجل بذل الاموال مقابل اعراض الرسول عن دعوته والتراجع عن رسالته والامتثال لقبائلهم بقيمها وعقليتها ومعتقداتهم المظلمة الراسخة ونظامهم الاقتصادي المستبد، كما ان قريش كانت تشعر بمدى بخطورة الامر فان وجودها على مختلف الجوانب ستم استبداله بكيان الرسول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي حيث حاملا رسالة السماء للقيام بالاصلاح الانساني متجاوزا ماكانوا عليه، فلم يطلب المجد السياسي ولا المنافع الشخصية وانما اراد تبليغ رسالة ربه التي تعيد بناء الانسان من اعماقة بعقيدة تكون رقيب عليه من ذاته ليحسن تصرفاته ويقوم سلوكه وفق ما اراد الله ورسوله.

الهوامش

[١]– كانت الموارد المالية قبل الاسلام صالحة وطالحة وفيها الحلال واكثره الحرام ،فاحد مصادر زيادة الدخل هو الربا و يرجح أن الذي أشاع الربا في جزيرة العرب هم اليهود الطارئون عليها، الذين اتخذوا من بعض قراها ومدنها مستعمرات عالجوا فيها الزراعة فأصابوا منها الغنى، ولم يكن لعرب الحجاز فيها كبير نصيب. فكان العربي إذا أعوزه المال اقترض ورهن عند دائنه درعه أو ثيابه أو سلاحه، وأحيانا تشتد به الحاجة ويشتط الدائن فيرهن ولده،إلا أن الربا لم يقتصر على اليهود، بل ما زال ينتشر في مكة والطائف وخيبر ووادي القرى ويثرب حتى ألفه الناس، وصاروا يأخذون به ويعطون. ابن شبه ، أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت: ٢٦٢ ه /٨٧٦م)، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر - قم - ايران ،مطبعة قدس - قم، ١٤١٠ ق - ١٣٨٦ ش،ج٢،ص٥٠٣؛الافغاني،اسواق العرب في الجاهلية والاسلام،ص٦٠.

[٢] - الهمشري ،مصطفى ،النظام الاقتصادي في الاسلام ،دار العلوم للطباعة والنشر- الرياض،١٤٠٥ه/١٩٨٥م،ط١،ص٨٩.
[٣] -ابن هشام،جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت: ٢١٣هـ /٨٢٨م)، السيرة النبوية ،تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ،شركة الطباعة الفنية المتحدة،ج١،ص٢٠.

[٤] -خان ،وحيد الدين ،حمة الدين،الناشر المختار الاسلامي،ص٥٤،ص٦٠.
[٥] - مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى(ت: ١٥٠هـ/٧٦٧م) ،تفسير مقاتل بن سليمان ،تحقيق: عبد الله محمود شحاته ،دار إحياء التراث - بيروت ط١ ، - ١٤٢٣ هـ ،ج١،ص٥٨٠،ص٥٨٢.
[٦] -النبهاني،تقي الدين ،النظام الاقتصادي في الاسلام ،دار الامة -بيروت ،١٤٢٥ه/٢٠٠٤م، ط٦،ص٥١.
[٧] -العيسوي ،عبدالرحمن ،سيكولوجية العمل والعمال ،دار الراتب الجامعية-بيروت ،ص ٢٨؛النبهاني،النظام الاقتصادي في الاسلام،ص٥٦.
[٨] - المراغي،ابو الوفا مصطفى ،من قضايا العمل والمال في الاسلام،مطبعة الازهر ،رجب ١٣٩٠ه/سبتمبر١٩٧٠م،ص١١.
[٩] -سورة النحل :اية ٤. .الطبري،تفسير الطبري،ج١٧،ص١٦٧.
[١٠] -سورة المؤمنون : اية ٢٧.الطبري ،ج١٥،ص٣٠٨.
[١١] -سورة سبأ: اية ١٠.الطبري،ج٢٠،ص٣٦٤.
[١٢] -الهمشري ،النظام الاقتصادي في الاسلام،ص٩٥.
[١٣] -سورة ابراهيم:اية ١٩ -٢٠.الطبري ،تفسير الطبري ،ج١٦،ص٥٥٦.
[١٤] -سورة يس: اية ٣٣ -٣٦.الطبري ،تفسير الطبري،ج٢٠ ،ص٥١٤ -٥١٥ .
[١٥] - القرشي ،ا أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان (ت: ٢٠٣ه/٨١٨مـ)،الخراج ليحيى بن ادم ،المطبعة السلفية ومكتبتها ،ط٢، ١٣٨٤ه ،ص١١١.
[١٦] - ابن يحيى ، أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان القرشي(المتوفى: ٢٠٣ه/٨١٨مـ)، الخراج ،المطبعة السلفية ،ط٢، ١٣٨٤،ص١١١؛ الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين ، السيرة النبوية ،دار ابن كثير - دمشق ،ط١٢ - ١٤٢٥ هـ،ص٢٢٦.
[١٧] -العواجي ، محمد بن محمد ، أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين ،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،ص٤٢.
[١٨] - سورة البقرة :اية ٣٠.بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠ه/٧٦٧م) ، تفسير مقاتل بن سليمان ،تحقيق: عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث - بيروت ، ط١ - ١٤٢٣ هـ ، ص٩٦.
[١٩] - الشيخ علوان ، نعمة الله بن محمود النخجواني(ت: ٩٢٠هـ/١٥١٤م) ،الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية ،دار ركابي للنشر - الغورية، مصر ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م،ص٢٧.
[٢٠]- الشيخ علوان،الفواتح الالهية والمفاتح الغيبية،ص٢٧.

[٢١]- الطبري، تاريخ الأمم والملوك ،دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤٠٧ه،ج١ ،ص٥٤٤.

[٢٢]- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت: ٥٩٧ه/١٢٠١مـ) ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ،تحقيق: محمد عبد القادر عطاو مصطفى عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م،ج٢،ص٣٦٩؛عبداللطيف ،عبدالشافي محمد ،السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، دار السلام - القاهرة ، ط١ ،١٤٢٨ ه،ص١٣٩.

[٢٣] - سورة القصص :اية ٥٦،٥٧. الطبري ، تفسير الطبري،ج٢٣،ص١٢٨.
[٢٤] -سورة الروم :اية ٣٧-٣٨ .الطبري،تفسير الطبري،ج٢١،ص٤٥.
[٢٥] -سورة الفجر:اية ١٧-٢٠.الطبري،تفسير الطبري،ج٣٠،ص١٨١-١٨٣ .
[٢٦] - سورة الاسراء:اية ١٠٠.القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن،دار الشعب ،القاهرة،ج١٠،ص٣٣٥.سورة العاديات :اية ٦-٨ .القرطبي الجامع،ج٢٠،ص١٦٠.سورة المعارج :اية ١٩-٢٣ .القرطبي،الجامع،ج٧،ص١٣٣،ج١٨،ص٢٨٩.

[٢٧] - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري(ت: ٧٧٤هـ) البداية والنهاية،تحقيق: علي شير ،دار إحياء التراث العربي ،ط١، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م،ج٣،ص٨١.
[٢٨] -ابن هشام ،السيرة النبوية ،ج١،ص٢٩٣؛ السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٨١هـ/ ١١٨٥ م)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م،ج٣،ص٦٠.

[٢٩] -ابن اسحاق ،سيرة ابن اسحاق ،ص١٩٨؛ ابو الفتح، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ /١٣٣٤م)،عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ،تعليق: إبراهيم محمد رمضان ،دار القلم - بيروت ،ط١، ١٤١٤ه/١٩٩٣م،ج١،ص١٢٦؛السهيلي،الروض الانف،ج٣،ص٦٣.

المصادر والمراجع

[١] - ابن شبه ، أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت: ٢٦٢ ه /٨٧٦م)، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر - قم - ايران ،مطبعة قدس - قم، ١٤١٠ ق - ١٣٨٦ ش
٢- الافغاني،اسواق العرب في الجاهلية.
[٣] - الهمشري ،مصطفى ،النظام الاقتصادي في الاسلام ،دار العلوم للطباعة والنشر- الرياض،١٤٠٥ه/١٩٨٥م،ط١.
[٤] -ابن هشام،جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت: ٢١٣هـ /٨٢٨م)، السيرة النبوية ،تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ،شركة الطباعة الفنية المتحدة.

[٥] -خان ،وحيد الدين ،حمة الدين،الناشر المختار الاسلامي.
[٦] - مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى(ت: ١٥٠هـ/٧٦٧م) ،تفسير مقاتل بن سليمان ،تحقيق: عبد الله محمود شحاته ،دار إحياء التراث - بيروت ط١ ، - ١٤٢٣ هـ .
[٧] -النبهاني،تقي الدين ،النظام الاقتصادي في الاسلام ،دار الامة -بيروت ،١٤٢٥ه/٢٠٠٤م، ط.
[٨] -العيسوي ،عبدالرحمن ،سيكولوجية العمل والعمال ،دار الراتب الجامعية-بيروت
[9] - المراغي،ابو الوفا مصطفى ،من قضايا العمل والمال في الاسلام،مطبعة الازهر ،رجب ١٣٩٠ه/سبتمبر ١٩٧٠م.
[10] - القرشي ،ا أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان (ت: ٢٠٣ه/٨١٨مـ)،الخراج ليحيى بن ادم ،المطبعة السلفية ومكتبتها ،ط٢، ١٣٨٤ه.
[11] - ابن يحيى ، أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان القرشي(المتوفى: ٢٠٣ه/٨١٨مـ)، الخراج ،المطبعة السلفية ،ط٢، ١٣٨٤،ص١١١؛ الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين ، السيرة النبوية ،دار ابن كثير - دمشق ،ط١٢ - ١٤٢٥ هـ.
[١٢] -العواجي ، محمد بن محمد ، أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين ،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

[١٣] - بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠ه/٧٦٧م)
، تفسير مقاتل بن سليمان ،تحقيق: عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث - بيروت
، ط١ - ١٤٢٣ هـ.
[١٤] - الشيخ علوان ، نعمة الله بن محمود النخجواني(ت: ٩٢٠هـ/١٥١٤م) ،الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية
الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية ،دار ركابي للنشر - الغورية، مصر
ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

[15]- الطبري، تاريخ الأمم والملوك ،دار الكتب العلمية - بيروت
ط١، ١٤٠٧ه.
[16]- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت: ٥٩٧ه/١٢٠١مـ)
، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ،تحقيق: محمد عبد القادر عطاو مصطفى عبد القادر عطا
،دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢
١٧- عبداللطيف ،عبدالشافي محمد ،السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، دار السلام - القاهرة ، ط١ ،١٤٢٨ ه.

١٨-أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١ه/)، الجامع لأحكام القرآن،دار الشعب
،القاهرة،ج١٠،ص٣٣٥.

[19] - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري(ت: ٧٧٤هـ) البداية والنهاية،تحقيق: علي
شير ،دار إحياء التراث العربي ،ط١، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.
٢٠- السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٨١هـ/ ١١٨٥ م)، الروض الأنف في شرح
السيرة النبوية ، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٤٢١هـ/
٢٠٠٠م.

[٢١] - ابو الفتح، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ /١٣٣٤م)،عيون الأثر في فنون
المغازي والشمائل والسير ،تعليق: إبراهيم محمد رمضان ،دار القلم - بيروت ،ط١، ١٤١٤ه/١٩٩٣م.